اليزيديون

(3)

نبيل يونس دمان

<u>أعيادهم:</u>

للأخوة اليزيديون أعياد دينية وعلى مدار السنة وأهمها جميعاً:

1- عيد رأس السنة (سري صال) :

يصادف في الاول من نيسان، وهو أيضاً تاريخ رأس السنة الآشورية ويبدو هنا وجود ترابط تاريخي في المسألة، يعتقد اليزيدية بان الطاووس ملك ينزل في هذا اليوم على الأرض كوكيل الله عليها ، فتقدم القرابين له وتذبح الذبائح، وتزين البيوت بورود الطبيعة الزاهية، ويخرج الناس والاطفال بأجمل ملابسهم وأبهى حللهم للاحتفال بذلك اليوم، ويصبغون البيض بألوان الطبيعة ويقامرون به في لعبة تكسير البيض الشيقة، والسائدة بين نصارى المنطقة ايضا في عيد قيامة المسيح الذي يصادف في نفس الشهر من كل عام اي نيسان، وعند المزارات القديمة يدور الناس حولها للطواف، ثم يعقدون الدبكات الشعبية على شكل حلقات منتظمة ومتناسقة حيث يشترك فيها الرجال والنساء، وعلى صوت الزرنايي والطبل.

المضمد شابا كولا مع عائلته في قرية بارة- جبل سنجار في اواخر الخمسينات، من صور ولده الصحفي رياض شابا

ان ايام السري صال فرصة نادرة للتعارف بين الجنسين وللمغازلات واختيار شريك الحياة، كما وتسري المشروبات الروحية والخمرة بين الجموع فتزيد لهيب الجسد وتدب فيه طاقة اضافية تزيد اندفاعه للمسرّة واللهو والمرح، كما ويولمون الولائم ويهبون الهِبات، والى مقابر موتاهم تتوجه الناس ايضاً حيث يدور القوّالون (جماعة دينية من قرية بحزاني) بدفوفهم وشباباتهم وهم يجيدون الضرب على هذه الآلات التي يتوارثونها عن آبائهم، ويشاركون العامة في البكاء على الموتى، وينشدون الاناشيد الدينية على الالحان الحزينة، فيرفعون من وتيرة الضرب على الصدور ونتف الشعور وذرف الدموع.

الأمير الراحل والوقور تحسين بك ابن سعيد بك مع البابا فرنسيس في روما

2- العيد الكبير (جمّا) :

وهذا العيد يبدأ في 22 أيلول من كل عام ويستمر لأسبوع، وهو موسم الحج الى جبل لالش حيث مرقد ولي اليزيزدية الأعظم "الشيخ عادي" ، في ذلك المضيق الجبلي الغني بعيونه ومياهه الصافية الرقراقة والكثيف باشجاره وانواع طيوره وحيواناته البرية ، هناك تتجمع الآلاف المؤلفة من اليزيدية وهم قادمون من مناطق تواجدهم وفي المقدمة مير الشيخان واخوانه واسرهم، والشيوخ، والقوالون، والمريت (العامة) .

ثم تجري مراسيم متعددة وفق التقاليد والسنن الدينية المتوارثة، واوج تلك الفعاليات ذبح الثور الذي يعد تقليداً تاريخياً منذ الازمان الوثنية القديمة، حيث اعتبر موت الثور ضرورياً لتسقى من دمه الكائنات الحية من نباتات وحيوانات، وهنا تقرع الدفوف وتنطلق الاغاني الشجية مع اضرام النار لطبخ الثور فيتحول الى كتلة لحم مقدسة تسمى ب "السماط" وتتزاحم الناس للحصول على قطعة من ذلك اللحم القربان.

لا تنتهي تلك الأيام الا بمزيد من الأفراح والرقصات والاغاني ويرتقي احدهم برتبته الدينية "جاويش" الى قمة الجبل وعلى رأسه طبق من الخبز اليابس ومن هناك يلقي به في الفضاء فيتناثر فتاته مما يدفع الشبان للتسابق والحصول على كسرة من ذلك الخبز المقدس، حيث يغمس في مياه عين زمزم الباردة ليتم تناوله. كذلك يطلق الرصاص بكثافة في ذلك الوادي احتفاءً بالعيد الكبير، وقد كان الحج في السابق يتم بالسير ساعات بل وايام لبلوغ ذلك الوادي والآن اصبح السبيل ميسوراً بواسائط النقل الحديثة.

المآسي التي تعرضوا لها:

هجرات ونزوح متواصل

قبل الخوض في تفاصيل المآسي التي تعرضوا لها في تاريخهم، نشير الى مأثرة يزيديي سنجار في ايام مجازر الأرمن في تركيا (1915) ، حيث نزح الآلاف من العوائل الأرمنية جنوباً، وقد حصل لهم في بعض الأماكن اعتداءات اخرى في سبي المئات من نسائهم ومثال ذلك في بلدة تلعفر التركمانية، اما من لجأ منهم الى سنجار فقد اصبح في أمان تام وفي ضيافة عشيرة حمو شيرو اليزيدية، وعند انتهاء تلك الفترة العصيبة توجه غالبية الأرمن الى سوريا ولبنان، واستمرت المراسلات بينهم وبين الفقير حمو شيرو.

والآن الى المآسي والويلات التي تعرض لها اليزيدية باختصار ووفق تسلسلها التاريخي:

1- في عام 1939 جمع والي ديار بكر في عهد السلطان ابراهيم جيشاً مؤلفاً من ثمانين الفاً فضرب به اليزيدية في جبل سنجار فقتل منهم ثلاثة عشر ألفاً وأسر اثني عشر الفاً.

2- في عام 1647 شن والي وان شمسي باشا هجوماً على جمع من اليزيدية فأمضى فيهم تقتيلاً، واقتيد صاحبهم ميرزا بك (من قرى الموصل) الى السلطان محمد ابن ابراهيه فأمر بقتله.

3- في عام 1715 نكل باهل سنجار والي بغداد "حسن باشا" ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ودمر قراهم ونهب اموالهم.

4- في عام 1807 شنت حملة اخرى عليهم في جبل سنجار بقيادة والي بغداد "سليمان باشا" .

5- في عام 1831 شن امير راوندوز ميركور حملة على اليزيدية في سهل نينوى فولّوا الأدبار وحصرت اعداد كبيرة منهم في منطقة النبي يونس بنينوى ولم ينجوا منهم الا من قطع نهر دجلة سباحة ومن ضمن القتلى اميرهم علي بك. من المعروف ان ميركور أمعن في قتل اهالي القوش النصارى ايضاً في تلك الحملة الشرسة واغتصب اديرتهم وكنائسهم وقتل رهبانهم وفي مقدمتهم رئيس دير الربان هرمزد الأب جبرائيل دنبو.

6- في عام 1893م جهز الفريق عمر وهبي باشا حملة شديدة على اليزيدية، في مناطق الشيخان بحجة اخضاعهم للعسكرة وإدخالهم في الدين الاسلامي عنوة، وقد أراقت الحملة دمائهم ، وصودرت السناجق، ثم امر بفتح مدرسة دينية في مقام الشيخ عادي بجبل لالش، وعهدت ادارتها الى الشيخ امين القره طاغي.

ورغم قساوة ما احدثته تلك الحملة لكنها لم تثنيهم عن ديانتهم، وفشلت كذلك المدرسة الدينية تلك، وعزل الفريق عمر وهبي، وقد اعاد والي الموصل ايام الحرب الكونية الاولى الكاتب التركي سليمان نظيف شارات اليزيدية الدينية ومنها "الطاووس ملك" .

7- حركة داود الداوود عام 1935، هناك ترابط وثيق بين هذه الحركة والحركة الاشورية عام 1933، والحركتان كانتا ضحية وعود كاذبة اعطتها لهم بريطانيا وفرنسا في اعقاب اقتسام تركة الرجل المريض (الدولة العثمانية) ، وهي المطالبة بحقوقهم وتطلعهم القومي، وعند اصرارهم المطالبة بها جوبهتا بالحديد والنار كما حدث في مجازر سميل 7/ أب/ 1933 ، اما في منطقة سنجار التي ثارت بقيادة داود الداوود، فان الحملة العسكرية الحكومية بقيادة امير اللواء حسين فوزي كانت متفوقة عدداً وعدةً، واستطاعت دحر الثوار وسقوط المئات من القتلى، واضطرار داود الداوود وبعض اعوانه دخول منطقة الانتداب الفرنسي في الاراضي السورية. ثم فرضت الحكومة العراقية الأحكام العرفية وسيق الى منصة الاعدام جوراً المحامي الموصلي عبد الله فائق بولص، وعبد الكريم قرة كلة، وسبعة من مختاري قرى جبل سنجار.

8- محنة اليزيدية في ظل السلطة الحالية: من أشنع الاضطهادات على اليزيدية في العصر الحديث ما مارسته السلطة الحالية ضدهم منذ مجيئها للحكم في انقلاب عام 1968 ولحد هذا اليوم، فقد هدمت العديد من قراهم المتاخمة لجبل باعذرا وهجر اهلها وادخلوا عنوة معسكرات او مجمعات قسرية. وفي سنجار اقيمت المجمعات اثر هدم قرى جبل سنجار الغنية بمواردها الاقتصادية، واطلقت على تلك المجمعات اسماء عربية اسلامية مثل مجمع القحطانية- ومجمع العدنانية- الجزيرة- تل قصب- تل البنات.

من القرى الجميلة "بارة" في ظهر جبل سنجار، تلك القرية التي ينبع منها الماء في كل مكان تقريباً، وكانت تزرع فيها اجود التبوغ، وتعطي تربتها ألذ انواع التين في العراق، وكان يزيدية الجبل يكبسونه بطرقهم الخاصة ويسطحونه أقراص او يعلقونه بخيوط على شكل خرز فاكهة مجففة، ما اشهاها في فصل الشتاء. لقد كان مصير قرية بارة التخريب والتهجير منذ اوائل السبعينات، وحلّ اهلها مرغمين في الاراضي السورية المتاخمة للحدود والى يومنا هذا.

وكذلك شنت السلطة حملة تعريب منظمة وواسعة النطاق ضدهم، ففي تعداد 17/ 10/ 1977، اجبروا على تدوين قوميتهم الكردية لتصبح عربية، وقد تمرد الكثير منهم على تلك العملية الشائنة كما حدث في قرية دوغات، حيث مزق الكثيرون دفاتر تعدادهم، وانسحب موظفوا السلطة بخفي حنين دون ان تكتمل عملية التعداد السيئة الصيت، وفي مقدمة من تعرض لأجراء السلطة آنذاك المرحومين علي خليل وجوقي سعدون (الأخير قتل بالأسلحة الكيمياوية عام 1987) اثناء هجوم السلطة على مواقع الأنصار.

لقد برز بين اليزيدية في العصر الحديث البطل محمود اليزيدي الذي شن حرب عصابات ضد السلطة الحالية وهي في أوج قوتها أعوام 1975- 1979 متخذاً من جبال كردستان حصناً له، وقد أدار عملياته تلك ببسالة نادرة، وبذلت السلطة الجائرة جهوداً مضنية للقضاء عليه، حتى تمكنت منه فقتل غدراً على يد مأجور منسلخ من قوميته في خريف 1979 في وادي شيرانة شرق قضاء العمادية.

الثالث من اليمين الشهيد البطل محمود يزيدي

الخاتمة:

لليزيدية طموح مشروع اسوة بباقي قوميات وطوائف الشعب العراقي، في الإنعتاق من الظلم والاضطهاد والعيش بسلام والتمتع بحقوقهم كاملة، وإحياء تقاليدهم وشعائرهم الدينية بحرية وفي اجواء الهدوء والطمأنينة، وذلك بإرساء دعائم مجتمع القانون والدستور الدائم ، من خلال ذلك المجتمع المنشود تتطور احوال اليزيدية الفكرية والاجتماعية، وتدخل اشعة النور لتخترق أركان الظلام في زواياهم المظلمة.

والى دولة الديمقراطية في عراق الغد تتجه أنظار ابناء الشعب العراقي بما فيهم اليزيدية.

فلاح يزيدي في بيدر الغلة بضواحى احدى القرى ايام زمان

<u>مصادر الموضوع:</u>

1- اليزيديون في حاضرهم ومستقبلهم- عبد الرزاق الحسني.

2- ضوء على الديانة اليزيدية- مقالة د. حمو فرحان.

3- اليزيدية- مجموعة مقالات- يعقوب نعوم سركيس.

4- أصل اليزيدية وتاريخهم- مجموعة مقالات المحامي عباس العزاوي.

تمت